



دَارُ الْعِلْمِ وَسَبِيلُ السَّلَامِ

بسم الله الرحمن الرحيم. الحمد لله الواحد القهار، والصلاة والسلام على نبينا محمد سيد الأبرار، و على آله وأصحابه الأطهار. أما بعد.

ف رئيس الحفلة المبجل، وضيف الشرف المفخم، وأساتذتنا العظام، وزملائنا الكرام! السلام عليكم ورحمة الله وبركاته!

أريد أن ألقى أمامكم كلمة موجزة حول موضوع "الدعوة إلى الله وتوحيده". فكل ذي بصيرة في هذا الزمان يعلم بل يشهد ما تُنشر في هذا العصر من الشرور العظيمة، في الإذاعات والصحافة، والتلفاز وفي النشرات الأخرى. وفي المؤلفات الداعية إلى النار حتى ظهر الفساد في البر والبحر، وخضع علم الإسلام، ووُجِدَ الإنكار والمعارضة ضدَّ شعار الدين حتى من أبناء المسلمين. فهم يتأثرون بوسائل الإعلام، وبما يُدرسون في مدرساتهم الرسمية من العلوم العلمانية واللادينية، حتى ضعف إيمانهم واندرس حبُّهم لله ولرسوله. فالآن هم في شك يتبهنون وبلبلون يزيغون، ولا يهتدون.

وهناك جيوش متنوعة تقوم بإذاعة السمِّ ضد الإسلام، والدعاء إلى طرق النار، وتتوفر لهم الوسائل المتطورة والعددُ والعددُ لنيل هذا الهدف القبيح. هذه الجيوش يسوقها أعداء الإسلام إلى المسلمين، وهذه الوسائل الخطيرة المتنوعة الكثيرة، كلها يسوقها وينشرها أعداء الإسلام إلى المسلمين، وإلى غير المسلمين، لإهلاكهم وقيادتهم إلى النار. ولأن يكونوا معهم في أخلاقهم الخبيثة، وسيرتهم الذميمة، وأن يكونوا معهم في النار، لأن قائدهم يريد هذا كما قال الله سبحانه: إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَاتَّخِذُوهُ عَدُوًّا إِنَّمَا يَدْعُو حِزْبَهُ لِيَكُونُوا مِنْ أَصْحَابِ السَّعِيرِ. (القرآن: 35:6)

فقطعة مسؤولية أهل العلم النبوي من المسلمين وتزايدت وظيفتهم لمقاومة هذا الشر السائد والزَّيغ المتزايد. فإنهم راغون على أمة الإسلام، وهم مسؤولون يوم القيامة عن رعييتهم.

فلا يليق بالعالم أن ينزوي ويقول: حسبي نفسي. لا، فإن عليه واجبات. حسبه نفسه من جهة عمله أن يعمل. وعليه واجبات من جهة البلاغ والبيان والدعوة. فربُّنا يقول سبحانه: ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ. فإله سبحانه يأمر الرسول صلى الله عليه وسلم بالدعوة. وأمره له أمر لنا جميعا، ليس المقصود له وحده عليه الصلاة والسلام. فإذا وَجَّهَ له الأمر فليس له وحده بل هو له ولنا ولأهل العلم جميعا إلا ما خصه الدليل به. (فتاوى ابن باز 7/196)

فعلينا أن نستعدَّ ونتهيأ ونشمر عن سواعدنا لنشر الحق ولدعوة الناس إلى الله الأحد، الذي لم يلد ولم يولد، ولم يكن له كفوا أحد، متأسين بأسوة سيدنا نوح عليه السلام حيث لبث في قومه يدعوهم إلى الله ألف سنة إلا خمسين عاما، فلم يُجِبْهُ إِلَّا نَفَرٌ قَلِيلٌ. ولنا هُذِي نبينا محمد صلى الله عليه وسلم الذي رأى أُمَّتَهُ يسدُّ الأفاق لكثرة عددهم نتيجة دعوته الممتدة على ثلاث وعشرين سنة. فعلينا أن نقف به ونبدل جُهوذا لرفع راية الإسلام وشعار التوحيد. وندعو عباد الرحمن إلى عبادة الرحمن بالحكمة والموعظة الحسنة وبمجادلتهم بالتي هي أحسن. ويحتاج هذا منا إلى أن نتباعد عن الخمول والانزواء وعزل الناس وما هم فيه حتى نُبلِّغ أمر الله إلى عباد الله، وننصح لهم حسب استطاعتنا ونوجههم إلى الخير، ونتعاون معهم على البر والتقوى بالأساليب الحسنة، بالعظة والتذكير بالكلام الطيب، بالرفق لا بالعنف.

وعلى أن نذكرهم أنه هو الله وحده الذي بيده ملكوت كل شيء وهو يجبر ولا يجار عليه، وأن الذين يتخذونهم من دونه أولياء ليقرَّبوهم إلى الله زُلفى، لا يملكون لأنفسهم نفعا ولا ضرا إلا ما شاء الله، ولا يجبرهم من الله أحد، ولن يجدوا من دونه ملتخدا، ولا يعلمون الغيب حتى لا يعلم سيد البشر ما يفعل به ولا بغيره. (البخاري: 6500)

فعلينا أن نوجِّد الله سبحانه وندعو الناس إلى توحيد كما علَّم سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم ابن عمه: " أَحْفَظْ اللَّهَ يَحْفَظْكَ أَحْفَظْ اللَّهَ تَجِدْهُ تُجَاهَكَ إِذَا سَأَلْتَ فَاسْأَلِ اللَّهَ وَإِذَا سَأَعْتِ فَاسْتَعِنْ بِاللَّهِ وَاعْلَمْ أَنَّ الْأُمَّةَ لَوِ اجْتَمَعَتْ عَلَى أَنْ يَنْفَعُوكَ بِشَيْءٍ لَمْ يَنْفَعُوكَ إِلَّا بِشَيْءٍ قَدْ كَتَبَهُ اللَّهُ لَكَ وَلَوْ اجْتَمَعُوا عَلَى أَنْ يَضُرُّوكَ بِشَيْءٍ لَمْ يَضُرُّوكَ إِلَّا بِشَيْءٍ قَدْ كَتَبَهُ اللَّهُ عَلَيْكَ. " (الترمذي: 2440)

وأختم كلامي هذا بدعاء الله سبحانه وتعالى أن يوفقنا وإياكم للسداد على دينه وللاستقامة على دعوة عباده إليه وأن يجعلنا من الذين نالوا مدح الله تعالى: وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِمَّنْ دَعَا إِلَى اللَّهِ وَعَمِلَ صَالِحًا وَقَالَ إِنِّي مِنَ الْمُسْلِمِينَ. (القرآن 33:41) وما توفيقنا إلا بالله.